

الرسالة

(غلاطية ١: ١١-١٩)

يا إخوة أعلمكم أنّ الإنجيل الذي بشرتُ به ليس بحسب الإنسان* لأنّي لم أتسلّمهُ وأتعلّمهُ من إنسان بل بإعلان يسوع المسيح* فإنّكم قد سمعتم بسيرتي قديماً في ملّة اليهود أنّي كنتُ أضطهدُ كنيسة الله بإفراطٍ وأدّمّرها* وأزیدُ تقدماً في ملّة اليهود على كثيرين من أترابي في جنسي بكوني أوفّر منهم غيراً على تقاليد آبائي* فلمّا ارتضى الله الذي أفرزني من جوف أمي ودعاني بنعمته* أنّ يُعلن ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمم لساعتي لم أصغ إلى لحمٍ ودمٍ* ولا صعدتُ إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقتُ إلى ديار العربٍ وبعد ذلك رجعتُ إلى دمشق* ثمّ إنّي بعد ثلاث سنين صعدتُ إلى أورشليم لأزور بطرس فأقمتُ عنده خمسة عشر يوماً* ولم أر غيره من الرسل سوى يعقوب أخي الربّ.

زمن الميلاد

زمن الميلاد الذي نعيشه اليوم، يُعيد سنوياً إلى أذهان المؤمنين وإلى أذهان من قد نسي، تواضع العلاقة بين الله والإنسان. هذه العلاقة عبارة عن إعلانات إلهية متعدّدة وإستعلانات عرفنا الله من خلالها. علاقة خالقٍ بمخلوق هي علاقة غير متوازنة، لكن الله بمحبّته للبشر يتواضع وينحني نحو الإنسان ليعتني بهذه الخليقة التي أبدعها. لمانا نتحدّث الآن عن الإستعلان والإعلانات الإلهية؛ لأنّ عيد الميلاد هو ذروة الإستعلان الإلهي حين حلّ الله بين الناس آخذاً بشرةً وصائراً إنساناً تاماً مثلنا. في الرسالة التي تُقرأ علينا في هذا الأحد الأول بعد ميلاد ربّنا يسوع المسيح، يخبرنا بولس الرسول أنّ الرب يسوع إستعلن له، ومنه قبل بولس الإنجيل الذي بشر به. وما كلمة إنجيل إلا خبر الإستعلان الإلهي، خبر البشري السارّة. العلاقة بين الخالق والمخلوق علاقة تاريخية إستعلن فيها الله للبشر مرّاتٍ عديدة كما أتى في

كتاب العهد القديم. ظهر الله بدءاً لأدم وتكلّم معه (تكوين ٢-٤). نزل بعدها إلى نوح وفسّر له كيف يصنع السفينة (تكوين ٦-٩). ظهر لإبراهيم أيضاً وأعطاه العهد وتراءى له بهيئة ملائكة ثلاثة وتناول العشاء معه (تكوين ١٢ و١٧ و٢٢). نزل الله إلى بابل وبلبل السنة الشعب الجاحد (تكوين ١١)، كما ظهر ليعقوب وموسى. ولا ننس أنّ الله رافق الشعب العبراني في البرية إثر خروجهم من مصر وكان يُمطر عليهم الغذاء ويرشد طرقتهم. هذه الظهورات هي

العدد ٢٠١٤/٥٢

الأحد ٢٨ كانون الأول

تذكار القديسين يوسف الخطيب

والنبي داود ويعقوب أخي الرب

وشهداء نيقيونية

اللحن الرابع

إنجيل السحر السابع

ظهورات غير مباشرة باستثناء آدم في الحالة الفردوسية، إذ رأى آدم الله وكلمه مباشرة. في مرحلة ما بعد السقوط أصبحت الإعلانات الإلهية غير مباشرة. تارةً يستعلن الله في عليقة ملتبهة (خر ٣) وطوراً يستعلن من خلال أعمال تفوق العقل كحين إرسال المنّ (خر ١٦) وعبور البحر الأحمر (خر ١٤). أحياناً كان الإعلان الإلهي يستخدم وسطاء نسّميهم الأنبياء نقلوا الرسائل الإلهية للبشر في العهد القديم. في أحيان أخرى كان الوسيط لا نبياً بل ملاكاً مرسل من الرب كما حصل مع إبراهيم (تك ٢٢: ١١) وأخيراً تمّ مع العذراء مريم حين

الإنجيل

(متى ٢: ١٣-٢٣)

لَمَّا انصرف المجوسُ
إِذَا بِمَلَاكِ الرَّبِّ ظَهَرَ
لِيُوسُفَ فِي الْحَلْمِ قَائِلًا قُمْ
فَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ
إِلَى مِصْرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى
أَقُولَ لَكَ * فَإِنَّ هِيرُودُسَ
مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ
لِيُهْلِكَهُ * فَاقَامَ وَأَخَذَ
الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لِيَلْتَمِسَ
وَانصَرَفَ إِلَى مِصْرَ * وَكَانَ
هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ
لِيَتِمَّ الْمَقُولُ مِنَ الرَّبِّ
بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: مَنْ مِصْرَ
دَعَوْتُ ابْنِي * حِينَئِذٍ لَمَّا
رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ
سَخَرُوا بِهِ غَضِبَ جَدًّا
وَأَرْسَلَ فَقَتَلَ كُلَّ صَبِيَّانِ
بَيْتِ لَحْمٍ وَجَمِيعِ تَحُومِهَا
مَنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونََ
عَلَى حَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي
تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ *
حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قَالَهُ إِرْمِيَاءُ
النَّبِيُّ الْقَائِلُ: صَوْتُ سَمْعٍ
فِي الرَّمَاةِ نَوْحٌ وَبِكَاءٌ
وَعُويلٌ كَثِيرٌ. رَاحِلُ تَيْكِي
عَلَى أَوْلَادِهَا وَقَدْ أَبَتْ أَنْ
تَتَعَزَّى لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا
بِمَوْجُودِينَ * فَلَمَّا مَاتَ
هِيرُودُسُ إِذَا بِمَلَاكِ الرَّبِّ
ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي الْحَلْمِ فِي
مِصْرَ قَائِلًا قُمْ فَخُذِ
الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْزُبْ إِلَى
أَرْضِ إِسْرَائِيلَ فَقَدْ مَاتَ

لبولس حين كان متجهًا لإضطهاد
المسيحيين. هذا الظهور حوّل
بولس من مضطهد للمسيحيين إلى
مبشّر بقيامة الرب يسوع. وفي حين
كرز الرسل الإثنا عشر في أورشليم
واليهودية، قام بولس الرسول،
المهتدي حديثاً، برحلات إلى سائر
أقطار المسكونة مبشراً. لا شك في
رسوليّة تعليم بولس، فهو رغم عدم
مرافقته للسيد وعدم تعلّمه من
التلاميذ مباشرة عن أعمال وأقوال
الرب يسوع، كانت الرؤيا التي
حصلت معه بمثابة عنصره خاصّة
نال فيها الروح القدس. تحوّل
جزريّ حصل عند سماع بولس «أنا
يسوع الذي أنت تضطهده» (أع ٩:
٥). يعلق الآباء على هذه العبارة، أنّ
تواضع بولس لم يسمح له بالاعتذار
أو محاولة التهرب ممّا فعل بحقّ
المسيحيين فبادر إلى قول «يا رب
ماذا تريد أن أفعل؟» (أع ٩: ٦). كان
يظنّ نفسه كارزاً بالمسيح المنتظر
وحين أدرك خطأه تاب مباشرةً
وتابع سيره كارزاً ولكن كرازاً
جديدةً موجهةً من الله. ما قام به
كان بإرادة الله ولا شيء آخر
لذلك يقول في الرسالة التي
سمعناها اليوم «الإنجيل الذي
بشّرت به ليس بحسب إنسان، لأنّي
لم أتسلّمه وأتعلّمه من إنسان بل
بإعلان يسوع المسيح» (غلا ١:
١١). يعترف بولس بسيرته الخاطئة
سابقاً، أمّا اليوم فأعلان يسوع
المسيح يرشده كما يرشد كلّ
خاطيء إلى الطريق القويم. نقطة
التحوّل تكمن في قبول بولس
للإعلان. فهل نقبل نحن
الإعلانات الإلهية ونتواضع على
غرار بولس أمام من تواضع من
أجلنا وولد في مذود بهائم؟
لننزعن في زمن الميلاد المبارك
العشاء عن أعيننا وننظر ضعفاتنا

بشّرها ملاك الرب أنّها ستلد ابناً
تسمّيه عمّانؤيل «الله معنا» (لو ١:
٢٦).

هذه الولادة أدخلت إنسان «ما
بعد السقوط» في علاقة جديدة مع
الله. أضحت العلاقة أقرب، لم يعد
الله مجرّد خبر أو كلمة مكتوبة في
الكتاب المقدّس بل صار هناك
تواصل مباشر مذ صار الله إنساناً
مثلنا. رآه الناس وتكلّموا معه
وتناولوا الطعام معه. في الميلاد
تحقّقت ذروة الإستعلان الإلهي كما
سبق وأشرنا. لم تعد العلاقة مع
الله في الديانة المسيحيّة التي
نشأت، علاقة جامدة مع إله
مجهول أو غير مرئي. أتت الديانة
المسيحيّة بعلاقة مع إله معروف
من البشر، ساكن البشر. ليس مجرّد
إعلان بل إستعلان تام من خلال
الجسد الذي أخذه. في هذا
الإستعلان، أي تجسد الرب يسوع
على الأرض، أسّس الرب جماعته
واضعاً أسساً لها. إختار رسلاً
إثني عشر رافقوه واختبروا العجائب
والأحداث التي قام بها على
الأرض. كان من الطبيعي أن
يخبرنا هؤلاء عن الرب يسوع
وينقلوا التقليد والتعليم إلى
المهتدين حديثاً للديانة المسيحيّة
(١ يو ١: ١-٢). لقد دوّن الرسل إمّا
بيدهم أو عبر تلاميذهم أخبار
الرب يسوع وتعاليمه في الأناجيل
والرسائل التي وصلتنا. إلّا أنّ
الرؤيا التي حصلت مع بولس
الرسول على طريق دمشق تعدّ من
أبرز الإعلانات الإلهية التي تلت
العنصرة، بسبب تأثيرها في
الجماعة المسيحيّة لاحقاً.

لم يكن بولس الرسول من الرسل
الإثني عشر، ولا كان معهم في يوم
العنصرة حين حلول الروح القدس
على التلاميذ. إلّا أنّ الربّ ظهر

طالبو نفس الصبي* فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل* ولما سمع أن أرشيلوس قد ملك على اليهودية مكان هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك وأوحي إليه في الحلم فانصرف إلى نواحي الجليل* وأتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة ليتم المقول بالأنبياء إنه يُدعى ناصرياً.

تأمل

إننا نذيع في أن البتول القديسة هي حقاً وحقيقة والدة الإله. لأن المولود منها إله حقيقي. ولعمري إنها في الحقيقة والدة الإله تلك التي ولدت الإله الحقيقي المتجسد منها، ليس على أن لاهوت الكلمة قد أخذ بدء وجوده منها، بل على أن كلمة الله نفسه - بصفته مولوداً من الآب ولادة أزلية قبل الدهور وبصفته كائناً لا بدء له منذ الأزل مع الآب والروح - قد سكن في أحشائها في آخر الأيام لأجل خلاصنا وتجسد منها بغير استحالة وولد. فلم تلد البتول مجرد إنسان بل إلهاً حقيقياً، لا بسيطاً بل متجسداً، لا متخذاً جسمه من السماء

وزلاتنا لنصير أهلاً لقبول وفهم الإعلانات المتواصلة وعلى رأسها المناولة الإلهية.

أطفال بيت لحم

رتبت الكنيسة المقدسة في التاسع والعشرين من شهر كانون الأول تذكراً للأطفال القديسين الأربعة عشر ألفاً الذين قتلهم هيرودس في بيت لحم. يأتي هذا التذكار في اليوم الرابع بعد الميلاد. في اليوم الأول نقيم عيداً جامعاً لوالدة الإله مكرمين إياها للدور الذي أدته في تحقيق الخلاص للجنس البشري (٢٦ كانون الأول)، وفي الأيام الثلاثة التي تلي نقيم تذكار الشهداء الذين قتلوا من أجل المسيح: القديس استفانوس أول الشهداء ورئيس الشماسة الذي احتمل الجهادات من أجل المسيح (٢٧ كانون الأول)، شهداء نيكوميدية العشرين ألفاً الذين رفضوا عبادة الإمبراطور الأرضي كملك وظلوا أمينين على عبادة ملك السموات (٢٨ كانون الأول)، وفي اليوم الرابع أطفال بيت لحم.

يخبرنا الإنجيلي متى في الإصحاح الثاني من إنجيله أن هيرودس الملك اضطرب وأورشليم عند سماعهم خبر ولادة يسوع، فدعا المجوس سرا ليتحقق منهم عن زمان النجم الذي ظهر لهم وقال لهم: «اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي. ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له» (متى ٢: ٧-٨). لكن ملاك الرب ظهر لهم في الحلم وقال لهم: «أن لا يرجعوا إلى هيرودس» (متى ٢: ١٢) فانصرفوا إلى بلادهم. وعندما رأى أن المجوس سخروا منه غضب وأمر بقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي

كل تخومها من ابن سنتين وما دون (متى ٢: ١٦).

يدعو القديس إيريناوس (+ ٢٠٢ م) هؤلاء الأطفال «شهداء»، ويقول عن المأساة التي أنهت حياتهم القصيرة بأنها كانت «إرسالاً كريماً ورفيقاً لهم إلى ملكوت الله بواسطة الرب نفسه». ويقول القديس كبريانوس (+ ٢٠٨ م): «إن الطفولة البريئة قد بُذلت للموت من أجل اسم المسيح، لنتيقن أن من يقتلون لأجله هم أبرياء».

في نصوصنا الليتورجية نقول عنهم إنهم مقدمة للحمل الجديد (أي الرب يسوع) الذي سيتألم ويذبح لأجل خلاصنا: «إنها لممقوتة مقتلته هيرودس للأطفال، لأجل تدنيسه بالقتل، ومكرمة ذبيحة الأولاد بما أنهم قد ذبحوا وهم مساوون المسيح بالسن، فكانت مقدمة للحمل الجديد الذي سيتألم ويذبح لأجل خلاصنا. فلا تبكي يا راحيل على أولادك متذكراً انهم في أحضان إبراهيم حيث سكنى جميع الفرحين» (قطعة الأبوستيخن الثالثة لصلاة السحر). وقد حصلوا ذبيحة أولى لميلاد المسيح الإله الطاهر وقدموا له كعناقيد وصار لهم أن يتهللوا لأنهم ذبحوا من أجل المسيح: «لما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية سقط اعتزاز اليهود، فليتهلل الأطفال لأنهم قد ذبحوا من أجل المسيح، ولتنتحب اليهودية لأنه قد سُمع صوت في الرامة راحيل تنوح على بنيتها كما كتب. فإن هيرودس المتجاوز الشريعة بقتله الأطفال قد أتم المكتوب مفعماً اليهودية دماً زكياً، فالأرض تخضبت بدماء الصبيان وأما الكنيسة التي من الأمم فقد تسربت حلّة التطهير سرياً. الحقيقة قد وردت والإله قد ظهر للجالسين في الظلام مولوداً من البتول لكي يخلصنا» (ذكصا

الأبوستيخن لصلاة الغروب).

قد يتساءل البعض لماذا سمح ملك السلام أن تحدث هذه الكارثة بسبب ميلاده. في الوقت الذي فيه انطلقت الملائكة بالتسبيح، والمجوس يحملون الهدايا إلى طفل المذود، إذا بالأطفال العبرانيين يُقتلون بلا ذنب. لقد قدّم هؤلاء الأطفال عملاً كرازياً وشهادة حق أمام العالم كله. فإنهم يمثلون كنيسة العهد الجديد التي حملت بساطة الروح كالأطفال الذين انطلقوا كأبكار لينعموا بالوحدة مع الحَمَل الإلهي أينما وُجد، وصاروا أول شهداء المسيحية ورمزاً للكنيسة المضطّدة المتألّمة لأجل المسيح، التي رجعت وصارت كالأطفال بسيطة كمسيحها.

ترينا وحشية هيروودس نتائج الحسد والغضب ومحبة العالم. هذه الوحشية التي اتسمت بالقتل الجسدي نجدها في مجتمعنا وإن لم تكن بالأسلوب الذي اعتمده هيروودس. فالיום نرى بعض الأطفال يُحرّمون من أدنى حقوقهم. وعوض أن نراهم يعيشون داخل منازل دافئة ويجلسون على مقاعد الدراسة، نراهم يتسوّلون في الشوارع وبين السيارات يبيعون ما حَمَلهم إياه «مستخدموهم»، هيروودس اليوم، ليؤمّنوا لهم المال. وقد يتعرّضون للضرب والعنف الجسدي والروحي وقد يصل الأمر إلى الإعتداء الجنسي إن فشلوا في مهماتهم. من جهة أخرى نراهم أداة يستخدمها الكبار الذين يستغلونهم. أطفال بيت لحم هم أول شهداء المسيحية الذين استشهدوا قبل أن يتكلموا، ولم تكن المسيحية معروفة حينذاك، لكن الكنيسة اعتبرتهم شهداء ولم تستثن منهم أحداً بل اعتبرتهم أول مَنْ نال هذه الرتبة من أجل اسم المسيح. أما أطفال اليوم فهم ضحية إهمال وجهالة

الكبار في الكثير من الأحيان وضحايا عوامل إجتماعية وإقتصادية لم ترحمهم ولم تترك لهم فرصة للخيار أمام صعوبة الظروف التي يعيشونها.

إن أطفالنا هم جيل المستقبل وهم مَنْ سيخلفنا لذا يجب أن نعي ونذكر أن هؤلاء الأطفال هم بمثابة جواهر ثمينة كلما حافظنا عليها كلما ازداد بريقها. إنهم طاقة المستقبل والأمل المنتظر. جدير بنا أن نساندهم حتى يصلوا بأنفسهم وبالوطن إلى النجاح الزاهر. هم شعلة علينا أن نحميها من أي ريح ونحافظ على اتقادها. الطفولة مرحلة هامة في تكوين شخصية الإنسان يحتاج خلالها الطفل إلى حنان الأم وعطفها وإلى رعاية الأب ودفء العائلة وتماسكها. لذا حريّ بنا تأمين طفولة هادئة لأولادنا والعناية بهم قدر المستطاع ليختزنوا الزاد الضروري لمستقبلهم كرجال الغد.

ذكرى ختانة الرب

بمناسبة ذكرى ختانة الرب يسوع وعيد القديس باسيليوس الكبير ورأس السنة تقام خدمة السَحَر عند التاسعة يليها القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الخميس الأول من كانون الثاني ٢٠١٥ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة برئاسة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس. يستقبل سيادته المهنيين بالعيد يومي الخميس ١ والجمعة ٢ كانون الثاني من الساعة الخامسة بعد الظهر حتى الساعة الثامنة مساءً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

وماراً بها كما بقناة بل متّخذاً منها جسداً مساوياً لنا في الجوهر وأخذ بشريتنا. فلو كان الجسد قد أُوتِي به من السماء ولم يُتخذ من طبيعة على مثالنا، فما هي الفائدة من التأنس؟ لأن التأنس قد جرى لهذا السبب وهو أن الطبيعة نفسها التي أخطأت وسقطت وفسدت، هي هي نفسها تغلب المتسلط الخداع وتتحزّر بذلك من الفساد، على ما يقول الرسول الإلهي: «بما أن الموت بإنسان، فبإنسان أيضاً قيامة الأموات». وعليه لما كان الشطر الأول صادقاً، فيكون الثاني كذلك.

وإذا كان الرسول يقول أيضاً: «آدم الأول من الأرض أرضي، وآدم الثاني من السماء سماوي»، فهو لا يقول بأن جسد آدم الثاني من السماء، بل واضح أنه ليس إنساناً بسيطاً، فهوذا يسميه آدم ويسميه رباً، دالاً على طبيعته ككليهما، لأن كلمة آدم معناها أرضي - وواضح أن طبيعة الإنسان أرضية وهي التي قد جُبلت من تراب - أما كلمة رب فدلّيل على جوهره الإلهي.

القديس يوحنا الدمشقي